الجـــزء الرابع

المعرفة
KNOWLEDGE

مقاتلو المعرفة

KNOWLEDGE WARRIORS

بينما كانت حرب الموجة الثالثة تأخذ شكلها بدأ نسل جديد من (مقاتلى المعرفة) فى الظهور - داخل وخارج الزى العسكرى يؤمنون بفكرة أن المعرفة يمكنها أن تفوز أو تمنع من نشوب الحرب.

بول ستراسمان عالم معلومات تشيكى عبقرى حاد الذهن. وسابقا كان مخططا استراتيجيا ورئيس الخدمات فى مجموعة زيروكس XEROX CORPORATION

وستراسمان بنك بيانات متحرك عن معلومات التكنولوجيا - طرازات الحاسبات الآلية، وبرامج، وشبكات، وبروتوكولات اتصالات وغير ذلك من الأمور. أكثر من تكنولوجى ضيق كان يفكر كثيرا فى اقتصاديات المعلومات وأضاف مسحا تاريخيا نادرا لعمله. وقام ستراسمان وزوجته منى معا بخلق متحف فاخر اختص بتاريخ الاتصالات من بداية اختراع الكتابة إلى الحاسب الآلى). إن تاريخه العسكرى أيضا شكل أفكاره عن الحرب. يقول ستراسمان: (إن تاريخ الحرب هو تاريخ العقيدة.. إن لنا عقيدة عن الأبرار على الشاطئ وعقيدة للقصف الجوى، وعقيدة للمعركة الجوية البرية.. ماذا يغيب.. هو عقيدة للمعلومات) إنها لن تغيب لفترة طويلة. وفى فبراير ١٩٩٣ فى ويست بوينت، قامت أكاديمية الجيش الأمريكى، بتعيين ستراسمان مدرسا زائرا فى مجال إدارة المعلومات، وفى نفس الوقت قامت جامعة الدفاع الوطنى فى فورت ماير بتقديم أول كورس (برنامج) عن حرب المعلومات.

وفى مكتب وزير الدفاع الأمريكى توجد وحدة يطلق عليها (تقدير الصافى) NET ASSESSMENT مهمتها الأساسية وزن القوة النسبية للقوات العسكرية المضادة. وهذه الوحدة، برئاسة آنتدى مارشال، أبدت اهتمامات قوية بالنسبة لعلومات الحرب وماذا يمكن أن يسمى (عقيدة المعلومات INFO – DOCTORINE).

خارج البنتاجون خزان تفكير خاص يسمى TASC (مؤسسة العلوم التحليلية) يقوم بعمل على نفس المسألة، وجيوش أخرى كذلك، كرد فعل لحرب الخليج، تفكر فى عقيدة المعلومات حتى فقط فى مجال الدفاع ضد أمريكا المتفوقة فى نظم المعلومات. وإلى هذا الحد كثير من هذه المناقشات العقائدية لا زالت تركز على تفاصيل الحرب الإلكترونية – تدمير أو تعطيل رادار معاد، وتلويث حاسباته بواسطة فيروسات، واستخدام مراكز قيادته ومخابراته، وخداع معداته بإرسال إشارات كاذبة، واستخدام رسائل أخرى لخداعه، ولكن ستراسمان ومارشال وغيرهما من المفكرين العسكريين يفكرون فيما وراء الجانب العملى في كيف توضع عقيدة لواقع أوسع لاستراتيجية ذات مستوى عال أيضا.

دووان اندروز هو الرئيس السابق لستراسمان فى البنتاجون. واندروز (C^3 I) حدد الفرق عندما حدد المعلومات كعنصر استراتيجى. وهذا يعنى أنها ليست مجرد مسألة استطلاع (مخابرات) أرض المعركة أو الهجمات التكتيكية على رادار فى الجانب الآخر أو شبكات التليفونات ولكن تأثيرها قوى قادر على تغيير قرارات عالية المستوى للخصم.

صدرت فى ٦ مايو ١٩٩٣ (مذكرة السياسة رقم ٣٠) تحدد (القيادة والسيطرة) (والرمز لها C^2)، هو النظام الذى به تنفذ السلطة والتوجيهات بواسطة القادة الشرعيين.

إنها تحدد قيادة وسيطرة الحرب (كاستخدام مدمج لأمن العمليات.. الخداع العسكرى، والعمليات النفسية.. والحرب الإلكترونية.. والتدمير الفيزيائى، المدعم بالمخابرات لحرمان المعلومات وتحط من قدر أو تدمر قدرات القيادة والسيطرة C^2 الصديقة ضد مثل هذه الأعمال). ويقول التقرير إنها إذا نفذت بطريقة سليمة فإن القيادة تقدم للقادة القدرة على تنفيذ ضربة قاضية قبل بداية العدوان التقليدى.

إن المذكرة توسع المتغيرات الرسمية حول فكرة حرب المعلومات وذلك بالتركيز الأكثر على المخابرات وبتوسيع النطاق ليشمل عمليات نفسية توجه للتأثير على (الاحساسات والدوافع والمنطق الواعى وفى النهاية التصرف) للآخرين.

المناقشة الثقافية لحرب المعلومات فى المجتمع العسكرى تسير بصورة جيدة.

وهكذا إلى مدى أوسع بكثير فإن التبنى النظرى للموضوع مؤسس على عمل عالمين فى مؤسسة RAND فى سانتامونيكا بكاليفورنيا (دافيه رونفلد ت وجون اركيلا). ففى نظرية عامة ابتدائية عما يسمونه حرب التحكم الآلى (CYBERWAR) يلمحون إلى مسائل استراتيجية عريضة.

إن حرب التحكم الآلى CYBERWAR بالنسبة لهم تلمح إلى (محاولة معرفة كل شىء عن الخصم بينما يحافظ على ألا يعرف كثيرا عن الجانب الصديق) إنها تعنى التحول إلى (توازن المعلومات والمعرفة) لصالح القوى الصديقة خاصة إذا لم يكن التوازن فى القوات غير متزن (وبالضبط كما فى الاقتصاد المدنى فإنها تعنى استخدام المعرفة بحيث يقل رأس المال والعمل الذى يتم إنفاقه).

إن ثرثرة المصطلحات – عقيدة المعلومات INFO – DOCTRINE، وحرب التحكم الآلى CYBERWAR، وحرب القيادة والسيطرة C^2، ومصطلحات أخرى – تعكس المرحلة التى لا زالت بدائية من المناقشة.

ومع ذلك فإن أشياء محددة تكون واضحة، إن أية عسكرية – مثلها مثل أية شركة أو مؤسسة – عليها أن تقوم بأربع وظائف هامة على الأقل بخصوص المعرفة. فيجب عليها أن تحصل على (وتعالج وتوزع وتحمى) المعلومات بينما تختار ما تنكره أو توزعه إلى الخصوم أو الحلفاء. وعليه إذا ما فصلنا كلا من هذه الأعمال إلى عناصرها يمكننا أن نبدأ إطارا شاملا لاستراتيجية المعرفة – وهذا مفتاح لكثير ، إن لَم يكن لغالبية الانتصارات العسكرية للغد.

أسرار وادى السيليكون SILICON VALLEY; SECRETS

إن الجيوش مثلها مثل كل فرد آخر تطلب المعلومات بعدد ضخم من الطرق – من وسائل الإعلام ومن البحوث والتطوير، ومن المخابرات ومن الثقافة بوجه عام ومن مصادر أخرى. إن استراتيجية اكتساب منهجية ستضع قائمة لهذه الأمور وتحدد أيًّا منها يحتاج الأمر لتطويره.

خلال عصر الموجة الثانية تقدمت التكنولوجيا العسكرية فى الولايات المتحدة بسرعة ضوئية وأدخلت بسرعة اختراعا بعد اختراع فى الاقتصاد المدنى. واليوم ظهر دور عسكرى. وفى اقتصاد الموجة الثالثة سريع الخطى تحدث التطورات الفنية أسرع فى القطاع المدنى ثم تدخلها فى الصناعات العسكرية. وهذا يعنى إعادة اختيار استراتيجية لأسبقيات البحوث والتطوير وإعادة بناء العلاقات بين العلم والتكنولوجيا العسكرية والمدنية.

وهناك طريقة بديلة للحصول على معرفة قيمة من خلال التجسس ونشاطات المخابرات. ومن الواضح أن المخابرات ستكون مركز أية فكرة عن الحرب المبنية على المعرفة.

وفى النهاية يمكن للاكتساب أن يشمل أيضا أشياء مثل الاستنزاف الاستراتيجى للعقل. فخلال الحرب العالمية الثانية كان هناك تنافس حى (وأحيانا قاتل أو مميت) لقوة العقل العلمية. فلقد دمر النازيون فاعلية عسكريتهم بطرد أو استئصال بعض من أحسن العقول العلمية فى أوروبا وكثير منهم يهود. وبحث الحلفاء عن هذه العقول وكلفوها بالعمل فى برنامج مانهاتن والعلم السياسى إلى التحليل النفسى وعلى العكس حاول اختطاف علماء ذريين ألمان لمنع هتلر من الحصول على قنبلته النووية.

إن الأهمية العسكرية والتجارية لمثل هذا الاستنزاف الإيجابى والسلبى للعقل قد تزداد مع انتشار المعلومات والبراعة (KNOW - HOW). نستشهد بما قاله توم بيترز نظرى الإدارة ذو النفوذ: (إن أحد أعظم أسرار وادى السيليكون هو سرقة رأس المال البشرى من العالم الثالث. ربما يرحل أهالى الوادى الأصليون. وهذا أكثر من جمع الهنود والتايوانيين وإحضارهم للوادى)[1]

وهكذا فإن استراتيجى المعرفة العسكرية للغد قد يصممون سياسات متطورة بعيدة المدى لامتصاص أنواع معينة من العقول من دول ونقلهم إلى دولهم سوف يقوم استراتيجيو المعرفة بأن يضعوا بصورة متزايدة خططا مصممة لإثباط همة ومنع تحرك العلماء المهمين أو المهندسين المهمين إلى المنافسين المحتملين. إن جهودا تجرى حاليا لإبقاء العلماء الروس ومنعهم

---

(١) لا زال نزيف هجرة العقول من العالم الثالث إلى الولايات المتحدة مستمرا وهى تقربهم وتغدق عليهم ولا تسمح لأى منهم بالعودة لوطنه الأصلى إذا كان من العلماء المرموقين.

من الهجرة إلى إيران وكوريا الشمالية وهذه هى الجولة الأخيرة فى اللعبة التى ستمارس لعدد ضخم من الرهانات الاستراتيجية.

إن استراتيجى المعرفة الماهرين سيعطوننا اهتماما أكبر (لتموين المعرفة) غدا كما أعطت اهتماما اليوم لتموين الأدوات HARD WARE.

جنود البرامج THE SOFTWARE SOLDIERS

إن الجيوش المتقدمة مثلها مثل الشركات عليها أن تخزن وتعالج المعلومات بكميات ضخمة. وكما نعرف وبتزايد كبير يتطلب ذلك استثمارات ضخمة فى تكنولوجيا المعلومات أو I - T إن تكنولوجيا المعلومات (I-T) العسكرية تشمل نظم حاسبات من كل الأحجام وكل الأنواع. وإن طبيعة وتوزيع وقدرة وصلاحية الاستخدام والمرونة فى مثل هذه النظم بما فى ذلك ربطها مع الرادار والدفاع الجوى والقمر الصناعى وشبكات الاتصالات ستميز الجيوش المتقدمة من واحد لآخر.

فى الولايات المتحدة كثير من العمل تم بواسطة دوان اندروز وبول ستراسمان وبواسطة خلفائهما فى البنتاجون، تشارلز أ هوكيز الصغير وسينثيا كيندال، تورطوا فى محاولة ترشيد ورفع كفاءة وتطوير هذه النظم الواسعة، والأكثر أهمية من الأجهزة الفعلية التى درسها هوكينز وكيندال كان المخزون المتغير باستمرار من البرامج التى تعتمد عليها. فى حرب الخليج ركزت كاميرات التليفزيون المتعطشة للمناظر الدرامية، على المقاتلات توم كات ف - ١٤ تزأر منطلقة من فوق سطح حاملات الطائرات، والهليكوبترات الأباشى المنقضة فوق الصحراء، والدبابات ابراهام م١ أ ١ المزمجرة فوق الرمال، والصواريخ توماهوك التى تختار أهدافها بدقة، قطع من المعدات أصبحت خلال الليل نجوما. ولكن النجم الحقيقى كانت البرامج الخفية التى قامت بمعالجة وتحليل وتوزيع

البيانات رغم عدم قيام أى مشاهد للتليفزيون بمشاهدة من إنتاجها وحافظ عليها جنود البرامج لأمريكا ومعظمهم مدنيون.

إن البرامج SOFTWARE تغير التوازن العسكرى فى العالم، واليوم تركب نظم التسليح أو يتم حملها بواسطة ما يطلق عليه المنصة (PLATFORMS). والمنصة يمكن أن تكون صاروخا أو طائرة أو سفينة أو حتى لورى. وما يتعلمه العسكريون أن المنصات الرخيصة المنخفضة التكنولوجيا التى تستخدمها الدول الصغيرة يمكنها الآن حمل وتوصيل قوة نيران ذكية عالية التكنولوجيا - إذا كانت الأسلحة ذاتها مزودة ببرامج ذكية. والقنابل الغبية يمكن أن يكون لها مقياس ذكاء (I.Q)، يتحقق بواسطة أجزاء تركب أو تعتمد على برامج لصناعها أو عملها.

فى عصر الموجة الثانية يعطى الجواسيس العسكريون اهتماما خاصا لماكينات التشغيل لأعدائهم لأنهم يحتاجونها لصناعة عدد آخر لإنتاج الأسلحة، واليوم ماكينات التشغيل (MACHINE TOOLS) التى يعتد بها الجميع هى البرامج المستخدمة لصناعة البرامج، بالنسبة لكثير من المعالجة لتحويلها إلى معلومات عملية والمعرفة التى تعتمد عليها. إن التطور العلمى والمرونة والأمن لقاعدة البرامج العسكرية أمر حيوى للغاية.

إن السياسات التى توجه التطوير والتى تستخدم تكنولوجيا المعلومات بوجه عام والبرامج بوجه خاص هى عنصر حيوى فى استراتيجية المعرفة.

هل العم سام يصغى؟ IS UNCLE SAM LISTENING?

حتى إذا تم الحصول عليها ومعالجتها فإن المعرفة تكون عديمة القيمة فى الأيدى الخطأ أو الرءوس الخطأ فى الوقت الخطأ. ومن هنا كانت الحاجة العسكرية لطرق مختلفة لتوزيعها حسب الحاجة.

يقول الفريق جيمس س كاسيتى (إن الأفرع وضعت الإلكترونيات فى وصلات عقد الاتصالات فى حرب الخليج خلال تسعين يوما أكثر مما تم وضعه فى أوروبا فى أربعين سنة).

لقد تم وضع خطط طموحة، على سبيل المثال لخلق شبكة اتصالات عسكرية واحدة بدون لحامات SEAMLESS تحيط بالكون تتخطى الولايات المتحدة - نظام عيارى MODULAR SYSTEM يمكن أن تشترك فيه قوات عدة دول فورا. بالضبط كدمج العمليات التجارية أكثر فأكثر على المستوى العالمى وتشكيل اتحاد مالى (CONSORTIA)، وربط نظمها الحاسبة وشبكات اتصالاتها مع تلك الخاصة بالحلفاء المتعاونين.

حتى بين دول حلف شمال الأطلنطى فى أوروبا وحتى بعد مضى أربع حقبات من التعاون لا يمكن لنظم إدارة المعركة بعد القيام بتوصيل المعلومات التكتيكية لبعضهم البعض وذلك بسبب عدم التجانس (INCOMPATABILITY).

وبعد غزو الكويت استغرق الأمر أسابيع كثيرة لربط وسائل الاتصالات العسكرية الخاصة بالمملكة العربية السعودية وقطر وعمان والبحرين والإمارات مع تلك الخاصة بالولايات المتحدة. إن الشبكة الجديدة المتصورة تهدف إلى التغلب أساسا على مثل هذه المشاكل وأن تجعل العمليات المشتركة مع الحلفاء أكثر سلاسة عما كانت عليه فى الماضى.

إن طبيعة شبكات الاتصالات تفترض مسبقا (وغالبا) استنتاجات استراتيجية غير معلنة. وفى هذه الحالة فإن الفكرة الخاصة بشبكة كونية مشتركة يمكن أن تدخل إليها الفيشة PLUG تعكس بوضوح الاستنتاج الاستراتيجى الأمريكى الذى يقول إنه فى المستقبل سيكون القتال بتعاون مع الحلفاء بدلا من العمل كبوليس عالمى وحيد.

ولكنه أيضا يثير تساؤلا عما إذا قامت الولايات المتحدة أساسا بتصميم النظام. فإنه من الممكن لأمريكا أن تقرأ كل الرسائل التى تسرى خلال الشبكة. (ليس بالضرورة الإثبات، لأن الدول المنفردة يمكنها استخدام شفرتها، ومع ذلك سيظل الشك موجودا).

قدم ستيوارت سليد (عالم معلومات يقيم فى لندن ومحلل عسكرى للتنبؤ الدولى (INTERNATIONAL FORECAST) بالإشارة إلى بعد آخر سياسى أعمق بالنسبة للقيادة الجديدة ونظم الاتصالات. وليس كل جيش فى العالم قادرا على استخدامها ثقافيا أو سياسيا (ناهيك عن تكنولوجيا). ويشرح الموضوع فيقول هذه النظم تعتمد على شىء واحد - وهو القدرة على تبادل المعلومات، وتبادل البيانات، وتوفير تيار حر للمعلومات فى كل الشبكة، بحيث يمكن للأفراد تجميع صورها التكتيكية وربطها كلها معا. إن ما حصلنا عليه فعلا هو نظام تسليح صحيح سياسيا.

(إن المجتمعات التى تجمد تيار المعلومات وحرية سريان الأفكار والبيانات سوف لا تكون قادرة (بكل المعانى) على أن تستفيد من استخدام هذه النظم.. إن النظام العراقى شجرة، وعلى قمته صدام حسين. إذا أمكن كسر مثل هذا النظام فى أية نقطة منه فستكون مأساة خاصة إذا عرف قائد الفرقة (الذى يسيطر من القمة إلى القاع) أن جائزته من استخدام مبادرته هى طلقة عيار ٠,٣٥٧ تطلق على رأسه من الخلف).

ولما كانت الشبكات المتقدمة تسمح للمستخدمين بالاتصال فيما بينهم على كل المستويات المختلفة، فإن ذلك يعنى أن النقباء يمكنهم التحدث مع النقباء الآخرين، والعقداء مع العقداء الآخرين دون أن تذهب الرسائل إلى قمة الهرم أولا. ولكن هذا هو بالضبط ما لا يريده الرؤساء المستبدون ورؤساء مجالس الوزراء الشموليون.

ويقول سليد إن هناك عددا قليلا من الدول بما فى ذلك الصين تعتبر هذا النظام خطيرا سياسيا ويقول: (توجد دول فى أفريقيا - على سبيل المثال - فيها إذا منحت قادة الكتائب القدرة على التخاطب مع بعضهم البعض دون وجود أحد يقف فوق رؤوسهم ففى حدود ستة أشهر أحد قادة الكتائب قد يصبح الرئيس والآخر وزيرا للدفاع).

وهذا هو السبب - كما يعتقد - أن شبكات الاتصالات الجديدة تناسب فقط الدول الديموقراطية.

التعليم وإعادة التعليم DE- LEARNING AND RE-LEARNING

مع ذلك فإن الاتصالات هى الجزء الوحيد لنظام توزيع المعرفة فى القوات المسلحة، وعسكريات الموجة الثالثة تضع اهتماما كبيرا بالتجريب والتعليم على كل مستوى، وهذا جزء من عملية توزيع المعلومات وكما فى الأعمال أصبح التعليم وإعادة التعليم عملية مستمرة فى كل فئة عمل فى العسكرية. إن مؤسسات التدريب تزداد قوة داخل الأفرع القتالية المختلفة. ففى كل الأفرع يتم تطوير تكنولوجيات متقدمة لزيادة سرعة التعلم. من بين هذه المحاكيات التى تعمل بالحاسبات والتى تلعب دورا كبيرا متناميا. على سبيل المثال بالاستخدام الفعلى للفيديو فى كل الاشتباكات الحيوية فى حرب الخليج تم تغذية كل تحركات دبابات الجانبين فى الحاسبات الأمر الذى سمح للأطقم بإعادة قتال معركتهم تحت ظروف مختلفة يتم محاكاتها. إن المعرفة هى البديل المناسب للموارد الأخرى. وبالمثل فإن الجنرالات الأذكياء يفهمون كلهم بصورة جيدة جدا أن الحروب يمكن كسبها على شاشات التليفزيون العالمية تماما كما يتم كسبها على أرض المعركة[1]

---

(١) قامت القوات المسلحة المصرية بتطوير التعليم فى الكليات العسكرية ليشمل جرعة هندسية وتكنولوجية عالية، إلا أن أحد السادة الوزراء الجدد ألغاه. لماذا؟

ومن بين الأشياء الأخرى تقوم الجيوش بتوزيع معلومات مثبطة وبلاغات كاذبة، ودعاية، وحقائق (إذا كانت تخدم أهدافهم) وتخيل إعلامى قوى - معلومات مع معلومات مضادة فى آن واحد. حقا إن الدعاية ستلعب دورا سياسيا للغاية ومتفجرا للغاية فى حرب المعرفة (KNOWLEDGE WARFARE) للقرن الواحد والعشرين.

اليد الصارمة THE SEVERED HAND

ولكن لا توجد استراتيجية معرفة كاملة بدون عنصر رابع نهائى - الدفاع عن مكونات المعرفة الخاصة بنا ضد هجوم العدو - لأن سيف المعرفة ذو نصلين. فيمكن استخدامها فى الدفاع ويمكنها تدمير خصم حتى قبل أول اندفاع له - ولكنها أيضا قادرة على قطع اليد التى تسيطر عليها. واليوم يجب أن تكون اليد التى تسيطر عليها هى أمريكا[1]

لقد ركز نيل مونرو على هذه النقطة بالذات داخل أمريكا وهو من أهالى دبلن عمره ٣١ عاما يلبس البروغ (حذاء أيرلندى خفيض متين BROGUE) هاجر إلى أمريكا عام ١٩٨٤ وتوجد تحت ذراعه درجة الماجستير فى دراسات الحرب. واليوم يعتبر من أحد وأهم الخبراء معرفة عن طريقة التفكير فى معلومات الحرب ابتداء من أسسها فى الحرب الإلكترونية إلى آخر تحريفات وتوجهات البنتاجون.

مؤلف كتاب هام السريع والميت THE QUICK AND THE DEAD عن القتال الإلكترونى وهو من هيئة محررى مجلة ديفينس نيوز (DEFENSE NEWS) كاتب أسبوعى ويدعى ان ١٣١٥ جنرالاً وأدميرالاً أمريكيا من بين قرائها - وذلك خلاف ٢٤١٩ ضابطا ذا رتبة عالية آخرين فى جيوش

---

(١) لماذا أمريكا وحدها؟ هل تبغى السيطرة على العالم!؟ وأين الحرية والعدالة والمساواة؟

أجنبية حول العالم. وتقرأ هذه المجلة على نطاق واسع أيضا بواسطة التنفيذيين فى الصناعة العسكرية فى فكر عقيدة حرب المعلومات أو فى البرامج أو فى المخابرات ، تصل تقاريره إلى مكاتب متخذى القرار المعنيين.

إن مونرو يحاول أن يدلل على تعليقاته بمراجع تاريخية فجة، ويقول مونرو: فى الماضى عندما كان لديك خمسة آلاف دبابة وللعدو ألف دبابة فقط كان من الممكن أن يكون لديك تفوق عليه بنسبة خمسة إلى واحد. فى حرب المعلومات يمكن أن يكون لك تفوق بنسبة مائة إلى واحد وقد تكون له آثار مدمرة.

بعد وهج الانتصار العسكرى فى حرب الخليج تركز الانتباه الأمريكى على الطرق التى تمكنت بواسطتها أن تقوم القوات الأمريكية بتعمية صدام حسين بتدمير مصادر معلوماته ومواصلاته. ومنذ ذلك الحين والاهتمام بالإنذار فى الأوساط الدفاعية متفوق على الطرق التى قد يتمكن بواسطتها العدو من تعمية الولايات المتحدة.

رعب المعلومات INFO - TERROR

فى ١٩ يناير ١٩٩١ فى الهجوم الجوى للتحالف على بغداد استخدمت الولايات المتحدة الصواريخ كروز توماهوك لتحقق ما وصفته ديفينس نيوز DEFENSE NEWS: (كنوع جديد من الرءوس الحربية السرية للغاية غير النووية ذات النبضات الكهرومغناطيسية) لإرباك أو تدمير النظم الإلكترونية العراقية. مثل هذه الأسلحة لا تسبب تدميرا صريحا ماديا ولكنها قادرة على (شواء FRY) عناصر الرادارات والشبكات الإلكترونية والحاسبات.

وفى ٢٦ فبراير ١٩٩٣ انفجرت قنبلة خام فى أبراج المركز التجارى العالمى فى مانهاتن وقتلت ستة أفراد وجرحت أكثر من ألف فرد وأربكت نشاطات مئات المنشآت القريبة من المركز المالى لنيويورك.

تصور ما قد يحدث إذا ما كان علماء الطاقة النووية لصدام حسين قد نجحوا فى اختراع رأس حربية خام كهرومغناطيسية نبضية، وتخيل فى صدام الخليج أن أحد إرهابيى المعلومات (INFO – TERRORIST) قام بزرعها فى أبراج المركز التجارى الدولى أو فى حى شارع وولستريت. إن الفوضى المالية التى كانت ستحدث – فى شبكات التحويلات البنكية، والبورصة، ونظام تجارة البضائع، وشبكات البطاقات الائتمانية، وخطوط التليفونات ونقل البيانات، والـ QUOTRON MACHINES والمواصلات التجارية العامة التى قد تتعرض للإرباك أو التدمير – قد تؤدى إلى صدمة فى سوق المال فى كل أنحاء العالم.

يقول وين شوارتاو مستشار الاتصالات فى (INTER – PACT انتر – باكت)، مع وجود أكثر من ٢٠٠ مليون حاسب تربطنا بشكل معقد كلنا من خلال منظومة معقدة من نظم الاتصالات البرية والفضائية.. فإن نظم الحاسبات الحكومية والتجارية اليوم ضعيفة الوقاية إلى حد كبير ويشير تقرير لمكتب المحاسبة العام للولايات المتحدة قدم للكونجرس إلى اهتمام مماثل. فهذا المكتب (GAO مكتب المحاسبة العام) قلق من أن فيدواير (FEDWIRE) وهى شبكة إلكترونية لتحويل الاعتمادات المالية والتى تتناول ٢٥٣ تريليون (التريليون – ألف مليار) دولار من النقود (قام بتحويلها عام ١٩٨٨) يعانى من ضعف الأمن ويحتاج إلى إجراءات أمن صارمة. (INFO – TERRORIST BRIGADES). إن النظم العسكرية بينما هى أكثر أمنا إلا أنها بالكاد تحققه، ففى ٤ ديسمبر ١٩٩٢ أرسل البنتاجون رسالة سرية للقادة فى منطقة يأمرهم بأن يقوموا بحماية شبكتهم الإلكترونية وحاسباتهم. إنه ليس مجرد نظم الرادار والأسلحة هى المعرضة

(كما شاهدنا من قبل) ولكن حتى أشياء مثل قاعدة بيانات الحاسب التى تحتوى على خطط التعبئة أو كشوف وأماكن قطع الغيار. لقد قال دوان اندروز فى ذلك الوقت: (إن أمن معلوماتنا بشع وسريتنا بشعة، وأمن وسائل اتصالاتنا بشع). وعليه لتأكيد هذه الكلمات القاسية فى يونيو ١٩٩٣ رصد (ELECTRONIC HACKER خطاف إلكترونى) عدة مكالمات إلى قادة العالم بوساطة هيئة مكتب وزير الخارجية الأمريكى واريـن كريستوفر. وكانت المكالمات تهدف إلى إبلاغهم بان ضربة صاروخية أمريكية ستتم ضد مراكز قيادة المخابرات فى بغداد.

وظهرت كثير من القصص فى الإعلام عن خاطفى الحاسبات (COMPUTER HACKERS) الذين يخترقون بلا مشروعية حاسبات الحكومة والمؤسسات، والتى يصعب تكرارها.

وبغض النظر عن التسمية أصبح الآن من الممكن لهندوسى متطرف فى حيدر أباد أو مخبول متوتر فى دنفر أن يسبب دمارا ضخما للناس أو الدول أو حتى بصعوبة ما لجيوش على بعد ١٠٠٠٠ ميل. يقول تقرير بعنوان: (الحاسبات فى أزمة) أصدره مجلس البحوث القومى: (إن إرهابيى الغد قد يتمكنون من إحداث دمار أكثر بواسطة لوحة مفاتيح KEYBOARD أكثر من قنبلة).

لقد كتب الكثير عن فيروسات الحاسب التى يمكنها تدمير بيانات أو مسح (محو) الأسرار والمال. ويمكنها زرع رسالات خاطئة (كاذبة) وتغيير التسجيلات والاشتراك فى التجسس والبحث عن بيانات ونقلها إلى الخصم (الجانب الآخر). وإذا تمكنت من الوصول إلى الشبكات المناسبة ففى مقدورهم (على الأقل نظريا) تعمير أو تفريغ أو إعادة تحديد الأهداف للأسلحة.

ويشعر مراقبوا الحاسبات الآن بالقلق بالنسبة لما يسمى (الفيروس الطواف CRUISE VIRUS - وهو سلاح ذكى يوجه لهدف محدد، والغرض منه ليس الانتشار دون تمييز وإحداث تمييز وإنما ليستولى على كلمة سر محددة أو يسرق معلومة محددة، أو يدمر «ديسك ثابت» HARD DIC محدد. إنه البرنامج المعادل لصاروخ كروز الذكى).

بمجرد إدخاله فى شبكة بها عدد كبير من الحاسبات قد يقوم الفيروس بالكمون (التخفى) أو يتسكع ببراءة فى انتظار مستخدم غير مشتبه فيه - نوع من حامل ميكروب التيفود - فيتوجه إلى الحاسب المطلوب. بعد ذلك يقفز الفيروس إلى اللوحة ويقوم بالعمل. وبمجرد وجوده فى الداخل يقوم بشن هجومه مطلقا حمولته المدمرة.

واليوم يوجد برنامج فى أساسه لا يمكن زرعه فقط فى شبكة ما ليكرر نفسه فى آلاف الحاسبات أو تجميليا يغير نفسه تبعا لتعليمات مبرمجة وإنما يمكن هندسته ليتطور مع الوقت مثل العنصر البيولوجى تماما الذى يستجيب للتحول العشوائى - فيروس ثورى تتأثر تغييراته بالصدفة فيصعب الأمر على أكثر الفيروسات القاتلة تطورا. إنها حياة صناعية فى طريقها للاستقلال الذاتى.

إنها حقيقة أن ديموقراطيات الموجة الثالثة المتقدمة بنت داخلها لا مركزية أكثر وزيادة أكثر من ذى قبل، ولها مرونة اقتصادية واجتماعية ضخمة لهذا السبب، ولكن توجد عوامل شلل (أو عجز) معادلة للتوازن، على سبيل المثال كلما زاد تقدم وتصغير حجم الحاسبات والإلكترونيات فى نظام ما، كلما كانت الطاقة الكهرومغناطيسية المطلوبة لتعطيلها أقل.

وفى المجموع فإن استراتيجية المعرفة الشاملة لجيش ما سوف نتعامل مع كل العوامل الحيوية الأربعة - الاكتساب والمعالجة والتوزيع والوقاية -

وكل واحد منها – فى واقع الأمر – له علاقة بالعوامل الأخرى. فالوقاية يجب أن تمتد إلى كل عوامل المعرفة هذه. ونظم المعلومات لمعالجتها لها صلة بكل هذه العوامل. ومن غير الممكن فصل الاتصالات عن الحاسبات؟ ولوقاية (حماية) نظام معرفة عسكرى يتطلب الأمر اكتساب استخبارات معادلة. إن كيفية تكامل هذه العوامل مع بعضها ستشغل استراتيجى المعرفة لوقت طويل مقبل.

وفيما وراء ذلك – وما وراء مجال هذا الكتاب – يوجد واقع الحياة. كل هذه العوامل الأربعة للمعرفة فى العسكرية لها مثيل دقيق مدنى. إن القوة الأساسية لعسكرية الموجة الثالثة تستند على قوة النظام المدنى الذى تخدمه والذى بدوره يعتمد بتزايد على استراتيجية المعرفة الخاصة بمجتمعه.

وذلك يعنى ، للأسوأ أو للأحسن ، أن الجندى والمدنى يرتبطان ببعضهما معلوماتيا. كيف يمكن للعالم المدنى – رجال الأعمال ، والحكومة ، والمؤسسات التى لا تبحث عن الربح – أن يحصل على ويعالج ويوزع ويحمى أصول المعرفة الخاصة به الأمر الذى يؤثر على مدى نجاح العسكرية فى أداء مهامها.

إن الحث المستمر والدفاع عن هذه الأصول تعتبر شروطا سابقة لبقاء مجتمعات الموجة الثالثة فى نظام عالمى ثلاثى الأقسام للقرن الواحد والعشرين.

وعليه ففى الحقب المقبلة كثير من أحسن العقول العسكرية ستكلف بمهمة تحديد مكونات حرب المعرفة والتعرف على علاقاتها المتبادلة المعقدة، وبناء (نماذج معرفة) تغل بدائل استراتيجية ، وهذه ستكون الرحم الذى ستولد منه استراتيجيات المعرفة.

ومع ذلك للوصول إلى استراتيجية معرفة سليمة فإن كل دولة أو كل قوة مسلحة ستواجه تحديات خاصة بها. بالنسبة للولايات المتحدة (التى تمتلك أكثر قوات مسلحة متقدمة فى العالم) فإنها تلمح إلى إعادة راديكالية لبناء بعض من أهم تنظيماتها الخاصة (بالأمن القومى) لتتناسب عصر الموجة الثالثة.

مستقبل الجاسوس

THE FUTURE OF THE SPY

على مسافة أربعين دقيقة من فندق متروبول فى موسكو اقتربنا من مبنى شقق غريب ثم دخلتا وركبنا مصعدا صغيرا لأعلى لنجد ترحيبا حارا عند خروجنا منه، وسرعان ما كنا نجلس فى راحة تامة فى غرفة معيشة اوليج كالوجين.

كان اوليج كالوجين رئيس جواسيس الاتحاد السوفيتى فى واشنطن خلال فترة من أسخن سنوات الحرب الباردة. ومنذ الأيام التى جلس فيها كالوجين فى السفارة السوفيتية فى شارع ١٦ يقرأ الوثائق المسروقة من وكالة الأمن القومى فائقة السرية أو أخيرا عندما كان لابد أن يزور كيم فيلبى أحد أساتذة التجسس فى القرن. واليوم كالوجين، الذى كان أصغر جنرال فى كى جى بى (KGB) يظهر على شاشة سى إن إن، يقابل رسميين كبارا من وكالة المخابرات المركزية ومكتب المباحث الفيدرالية (FBI) يفكر فى تاريخه السابق. إن بعض جواسيس السوفييت والشبكات فى دول مختلفة بدلوا تحالفهم وذهبوا ليعملوا لدى دول أخرى. وقام بتقديم تقييمه الشخصى عن محاولة الانقلاب التى أدت إلى سقوط جورباتشوف ووصف آماله فى مستقبل سلمى. لقد أصبح كالوجين ناقدا علنيا للمخابرات. كما كانت تمارس خلال الحرب الباردة. بل هو أكثر نقدا لما يراه يجرى اليوم – خاصة قرار الحكومة الروسية بتكوين أكاديمية لأمن الدولة على أنه نفس طريق الاقتراب ونفس النظم والقواعد كما كان فى

أيام ال كى جى بى (KGB). وبعض رفاقه السابقين فى ثورة عارمة بسبب انتقاداته العلنية لوكالة التجسس التى خدم فيها. ولكن كالوجين رمز حى للتغييرات المدهشة التي تصور صناعة التجسس العالمية.

من بين كل مؤسسات (الأمن القومى) لا توجد واحدة فى احتياج شديد لإعادة البناء (التنظيم) وإعادة النظر فى مفهومها أكثر من أولئك الذى كرسوا أنفسهم للمخابرات الأجنبية. إن المخابرات كما رأيناها هى عنصر حيوى لأى استراتيجية معرفة عسكرية.

بنات الهوى والسيارات الاسبورت HOOKERS AND SPORTS CARS

تتردد فى أنحاء واشنطن الآن أصداء أصوات تنادى بتخفيضات حادة بل وحتى تقطيع أوصال كل وكالات التجسس الأمريكية. ولكن كما هو الحال بالنسبة للإنفاق العسكرى العام. معظم مطالبات التخفيضات الكبيرة تعكس ضغوطا سياسية قصيرة المدى وليس استراتيجية عالمية كبيرة أو إعادة تقييم لفكرة المخابرات.

وعليه تنادى النيويورك تايمز صاحبة النفوذ القوى بإيقاف العمل للأقمار الصناعية التى تراقب المكالمات التليفونية ورصد الصواريخ، وتهلل (تمجد) لحقيقة أن وكالة المخابرات المركزية (CIA) لديها تسعة محللين يراقبون العسكرية الروسية (انخفضت من ١٢٥)، وتعتقد أن إيران تستحق المراقبة ولكن تعلن عفويا أن باقى العالم مغطى جيدا.

مثل هذه الثقة المرتجلة تبدو فى غير موقعها بينما العسكرية السوفيتية السابقة لازالت تسيطر على آلاف من الأسلحة النووية الاستراتيجية والتكتيكية، ولا تعتبر إيران المكان الوحيد الذى يحتاج المراقبة، ومن المؤكد

أن باقى العالم غير مغطى بصورة جيدة كما ذكرت صفحات من النيويورك تايمز.

منذ السبعينات على الأقل افترض عالميا ان كيم ايل سونج، الدكتاتور الشيوعى لكوريا الشمالية كان يجهز ابنه، كيم جونج الثانى، ليحل محله فى الرئاسة، ولكن لم يكن هناك أى شىء معروف عن ابنه سوى غرامه بالسيارات المستوردة وبنات الهوى السويديات وفى مارس ١٩٩٣ أفاد تقرير للتايمز: (يبدو أن وكالة المخابرات المركزية اكتشفت حديثًا فقط أن له ولدين ، وهى حقيقة هامة فى حكومة لها تقاليد وراثية).

مشكلة جنرال موتورز THE GM PROBLEM

بالنسبة للولايات المتحدة كانت المخابرات الأجنبية تأخذ ٣٠ مليار دولار فى السنة. وكانت مؤسسات هذا العمل الرئيسية هى وكالة المخابرات المركزية ووكالة المخابرات العسكرية ووكالة الأمن القومى ومكتب الاستطلاع القومى - وجميعها تنظيمات تقليدية للموجة الثانية. كانت جميعها ضخمة، وبيروقراطية ، ومركزية، ولها درجة سرية عالية. أما المخابرات الروسية - الـ كى جى بى KGB والمقابل لها عسكريا الـ GRU - فكانت تتسم بنفس الصفات.

واليوم مثل هذه التنظيمات متقادمة فى المخابرات تماما كما هى متقادمة فى الاقتصاد. تماما مثل جنرال موتورز GM أى بى ام IBM أكثر الصناع الرئيسيين ذكاء فى العالم حيث تواجهان ذات الأزمات (IDENTITY CRISIS)، تحاولان بيأس أن تحددا ماذا حدث خطأ وما هو العمل الذى تقومان به. وكمثل المؤسسات الديناصورية يظهر نقاد يمينيون عازمون على عدم تدمير المخابرات ولكن إعادة صياغة الفكرة بمفاهيم الموجة الثالثة،

إن الفكرة المطلقة للأمن القومى الذى تزعم هذه المؤسسات أنها تخدمه اتسعت لتشمل البيئية. لقد حاول عضو سابق فى مجلس الأمن القومى الأمريكى - جون ل بيترسون - على أنه لكى تتغلب على أزمة قبل أن تنفجر يجب على الولايات المتحدة أن تتعامل مع مشاكل مثل الجوع والكارثة والتلوث التى قد تدفع السكان اليائسين للدخول فى صدام عنيف.

اندور شبرد (محلل متميز فى وكالة المخابرات المركزية ومديريها) الذى بدا كما لو كان متخصصا فى مجال التسويق يحث خبراء المخابرات على تكثيف مخرجاتهم: (تفصيل روتين الاستخبارات لصالح رغبات مستهلكين محددين، فنحن نحتاج القدرة على إنتاج نماذج مختلفة لكل زبون هام، إننا نرى تجميع وتوصيل روتين مخابرات نهائى فى نقطة البيع).

بالمثل فى تصورهم لفكر إدارة الموجة الثالثة يتحدث رواد المفكرين من المخابرات عن الاستماع إلى الزبائن مع استبعاد الإدارة الوسيطة واللامركزية وخفض التكلفة وإلغاء البيروقراطية. ويجادل كودفيلا أن على الولايات المتحدة أن تحيل إلى التقاعد عدة آلاف من جواسيسها وتتلخص من الموجودين منهم فى السفارات الذين يتظاهرون بأنهم دبلوماسيون ولكنهم يقومون بتجميع معلومات متاحة فعلا لأى رجل أعمال أو صحفى أو موظف فى الخارجية.

يجب أن يزاد استخدام المعلومات الجزئية النشطة فى دوائر الأعمال والدوائر الحرفية فى الدول المستهدفة. وإذا احتاج الأمر إلى عمليات سرية (أعمال خارجية يمكن إخفاء اسم القائم بها) يجب أن يتم بواسطة الوكالات العسكرية أو غيرها من الوكالات وليس كجزء من المخابرات ويزعم كودفيلا: (والأكثر من ذلك المعانى الفنية لتجميع معلومات المخابرات بما فى ذلك بعض نظم الأقمار الصناعية، التى تعمل بأسلوب

غير شرعى) منظفات غبار إلكترونية (ELECTRONIC VACUUM CLEANER) التى تلتقط كثيرا من الرقائق مع أى حنطة فهى، مثل التسليح العسكرى، تحتاج أن توجه بدقة على أهدافها. والحنطة التى يريدها المستخدمون تتغير أيضا حتى فى العسكرية، وهكذا فإن وثيقة مؤثرة تم توزيعها على قمة البنتاجون فى يناير ١٩٩٣ اتهمت المحللين الكبار فى المخابرات العسكرية. بأنهم كانوا (لا يزالون يلوكون أساسا) أفكار حروب الأرض الكبيرة. وكانوا يركزون برؤى ضيقة على العوامل العسكرية مقللين من أهمية الاستراتيجية السياسية.

أسواق جديدة NEW MARKETS

بدلا من اكتشاف وتحليل طائرة نفاثة تقوم ببث إشارات معروفة مرئية وأشعة تحت الحمراء وإشارات رصد.. قد يكون على الوكالة أن تكتشف وتحلل طائرة صغيرة تقوم بنقل المخدرات). وبدلا من تحديد مكان كتائب دبابات وهي تتحرك قد تقوم بتحديد الفدائيين. وبدلا من تشريح اقتراح سوفيتى للحد من الأسلحة قد يكون عليها أن تقيم اتجاه دولة نحو الإرهاب).

إن مقاتلة الإرهاب ، بوجه خاص ، تتطلب معلومات على درجة دقة عالية وتقنيات جديدة مبرمجة للحصول عليها.

وصف كزيستوفر ويستفال وروبرت بيكمان من آلتا انليتك (ALTA ANALYTICS) برامج جديدة لمعاونة السلطات فى القبض على مجموعات الإرهاب بالبحث عن العلاقات الخفية فى قواعد البيانات المتعددة. وباستخدامها يمكن لفريق مضاد للإرهاب - على سبيل المثال - أن يسأل الحاسب للكشف عن كل أماكن يتردد عليها ستة أو أكثر من الأفراد.

والفكرة أن يسمح للمستخدم (بسرعة اكتشاف وفضح جماعات حيوية كان من الممكن ألا يتم اكتشافهم).

إن الاستنتاج واضح. عندما يتم اكتشاف سيارات أو تليفونات أو أماكن مجموعة ما فإن السؤال الواجب إثارته: لماذا يوجد الأسلوب هنا؟ ومن هو الشخص خلف/ أو له صلة بهذا الأسلوب؟. ولقد قيل: إن برنامج يطلق عليه NETMAP يمكنه تحديد التجمعات المنبثقة.

ويفترض أنه يربط هذه البيانات بالمعلومات التى سحبت من حسابات بنوك وبطاقات ائتمان وقوائم الاشتراكات يمكن لمثل هذه البرامج أن تساعد فى تحديد المجموعة - أو الأشخاص - التى ينطبق عليها أسلوب الإرهابيين.

العامل البشرى THE HUMAN FACTOR

إن الحاجة إلى شبكة آلية بدرجة عالية واسعة من الأقمار الصناعية أو المستشعرات لمراقبة فتح الصواريخ السوفيتية النووية أدت إلى إعادة التركيز على (الاستطلاع البشرى HUMINT) - جمع المعلومات من مصادر بشرية. وما يعنيه هنا كان التركيز الشديد على القدرات المضادة كتمييز عن النوايا.

الأقمار الصناعية لا يمكنها أن تغوص فى عقل إرهابى. ولا يمكن بالضرورة كشف نوايا صدام حسين. إن الأقمار الصناعية والتكنولوجيات الأخرى للاستطلاع أخبرت الولايات المتحدة أن صدام كان يحشد قواته بالقرب من حدود الكويت. ولكن الولايات المتحدة - فى بغداد - استبعدت أن يكون هذا الإنذار إنذارا حقيقيا وبالخطأ استنتجت أن تحركات القوات لم تكن سوى تهويش (BLUFF).

وجاسوس واحد فى الدائرة الداخلية لصدام كان من الممكن أن يلقى ضوءا على نواياه وغير من التاريخ.

إن التحول إلى نظام مخابرات موجة ثالثة يعنى ، بصورة متناقضة، التركيز الأكثر على الجواسيس البشرية - النوع الوحيد الذى كان متيسرا فى الموجة الأولى. والآن فقط نرى جواسيس الموجة الأولى وهم مسلحون بتكنولوجيات متطورة للموجة الثالثة.

أزمات الجودة THE QUALITY CRISIS

إن الموجة الثانية تركز على التجميع المكثف للبيانات بواسطة وسائل مكثفة ساهمت فى شلل التحليل (ANALYSIS PARALYSIS). فكثير من الشرائح المعدنية خرجت تتدفق من المستشعرات الموجودة والأقمار الصناعية والسونارات والتى يصعب أن تجد الحنطة مختلطة بها. وتقوم برامج غاية فى التطور بالمساعدة فى فحص المحادثات التليفونية بحثا عن كلمات السر. إنها تراقب أنواعا ومستويات النشاط الإلكترونى، وتبحث عن ريش الصواريخ وتصور المنشآت النووية وتفعل الكثير إلى جانب ذلك. ولكن لم يكن المحللون قادرين على تتبع ما يتلقونه ويحولونه إلى معلومات مفيدة فى الوقت المناسب.

وكانت النتيجة التركيز على الكم بدلا من الكيف - وهى نفس المشكلة التى واجهت جنرال موتورز وكثير من الشركات الكبرى الأخرى الآن وهى تحاول البقاء فى المنافسة العالمية. وبسبب زيادة التقسيم الزائد إلى أجزاء مستقلة فحتى النتائج عالية الكيف فشلت فى الوصول إلى الشخص المناسب فى الوقت المناسب. إن النظام القديم لم يتمكن من توفير معلومات فى الوقت المناسب إلى أولئك الذين يحتاجونها أكثر.

لكل هذه الأسباب كان ناتج المخابرات يفقد قيمته فى عيون كثير من عملائها. وليس بمستغرب أن كثيرا من المستخدمين – من الرئيس الأمريكى فمادون – يهملون المذكرات السرية المكومة فوق مكاتبهم والملخصات السرية التى يتلقونها. حقا إن السرية ذاتها – بما فى ذلك الاستنتاجات منها – محل إعادة نظر يقول ضابط كبير فى مكتب وزير الدفاع: كانت هناك عقيدة ضخمة من السرية – والسرية ذاتها أصبحت اختبارا لسريان مفعول الأفكار. لو لم تكن معلومات سرية لما كانت هامة أو صحيحة.

فى عام ١٩٩٢ أنتجت حكومة الولايات المتحدة ٦٣٠٠٠٠٠ وثيقة سرية. ولكن لا زلنا فى نصف الطريق فوق الجبل ولا زال فى الأسفل امتداد سماوى من السرية. وفوق (سرى جدا) توجد درجة تسمى (معلومات حساسة SCI أى SENSTIVE COMPARTMENTED INTELLIGENCE (نحن نسميها سرى للغاية) لا تفتح (لا يطلع عليها) إلا بواسطة عدد قليل من الأفراد. وفى نهاية تسلق هذه الكومة الضخمة ستصل إلى معلومات يمكن أن توزع فقط على ما يسمى قائمة BIGOT أفراد مزودين بكلمات شفرة خاصة.

وخوفا من أن يكون هذا النظام بسيطا فإنه يتعرض إلى مصفوفة MATRIX يكتب عليها NOFORN وتعنى لا توزع على الأجانب أو (NOCONTRACT) وتعنى لا تعطى للمتعاقدين أو (WNINTEL) أى (تحذير – مصادر مخابرات أو طرق مشتركة) أو (ORCON) وتعنى المصدر يسيطر على أى نشر لها.

كل هذا المكتب غالى التكلفة الذى يصيب الإنسان بالدوار يتعرض الآن لهجوم مستمر. عندما تزيد سرية قوة العسكرية.

إن ما فعلته الموجة الثالثة امتداد متفجر لكمية المعلومات التى تتحرك حول العالم. إن ثورة الحاسب، وتنامى أعداد الأقمار الصناعية، وانتشار ماكينات النسخ والفيديوهات، والشبكات الإلكترونية، وقواعد البيانات، والفاكس، وكابلات التليفزيون، والبث المباشر من القمر الصناعى، وعشرات ومضاعفاتها من المعلومات الأخرى التى تتناول وتوزع التكنولوجيات خلقت أنهارا كثيرة من البيانات والمعلومات والمعرفة التى أصبحت تصب الآن فى محيط شاسع يتسع باستمرار ليشمل كثيرا من الصور والرموز والإحصائيات والكلمات والأصوات.

إن الموجة الثالثة قد فجرت نوعا من الفرقة الضخمة المعلوماتية - وبذلك خلقت عالما يمتد إلى ما لانهاية من المعرفة.

لقد أدى ذلك أساسا إلى فتح مخزن منافس بجوار دكان الجاسوس - منافس موجة ثالثة يجعل المعلومات متيسرة بأسلوب أرخص من مصانع مخابرات الموجة الثانية. ومن الطبيعى أنه لا يمكنه توفير كل شىء تطلبه حكومة أو مؤسسة عسكرية ولكنه قادر على الإمداد بحجم من المعلومات.

وبالتالى فإن انفجار المعلومات للموجة الثالثة ووسائل اتصالاتها التى يحتاجها أكثر وأكثر صانعو القرار يمكن أن توجد فى مصادر علنية. بل إن كمية كبيرة من الاستخبارات العسكرية يمكن أن تأتى من المخزن المفتوح على مصراعيه بالجوار. والتغاضى عن كل هذا والاعتماد على قاعدة تحليل على أساس مصدر وحيد مغلق ليس فقط مكلفا بل غباء أيضا.

لقد فكر القليلون بعمق أو بخيال فى موضوعات مثل ذلك الرجل الخبير فائق الأناقة ذى الواحد والأربعين عاما خبير مشاة الأسطول والمخابرات

السابق الذى يدعى روبرت دى ستيل. ففى عام ١٩٧٦ فى جامعة ليهاى (LEHIGH) كتب بحثه للماجستير عن الثورة المتوقعة (PREDICTING REVOLUTION) وحانت له فرصة ليكتشف بنفسه ماذا تعنى الثورة.

ستيل يعترف أنه كان مكلفا بمهام مخابراتية فى الدولة. بعد ذلك عاد إلى واشنطن وغير من طريقة حياته وأصبح قائد فريق مسئول عن استخدام تكنولوجيا المعلومات فى مسائل السياسة الخارجية.

وعلى طول مسار حياته تخرج فى كلية الحرب البحرية وبرنامج تنفيذى بهارفارد فى الإدارة العامة (سياسة المخابرات) ثم أصبح يمثل قوات مشاة الأسطول فى لجنة أسبقيات المخابرات الأجنبية وفى منظمات مخابرات دفاع أخرى، بعد ذلك خدم كمدنى كبير فى مخابرات مشاة الأسطول وأغرق نفسه فى الحاسبات والمخابرات الاصطناعية (ARTIFICIAL) والموضوعات الأوسع لسياسة المعرفة.

ولم يكن ستيل ليوافق على الفكرة التى طرحتها التايمز فى أحد مقالاتها أن العالم (مغطى بصورة جيدة) بواسطة مخابرات الولايات المتحدة، وجادل فى أن الولايات المتحدة، كأمر واقع، تفتقر بصورة تثير الشفقة إلى لغويين جيدين وخبراء مناطق لهم خبرة عملية فى مناطق خبرتهم بل وتفتقر إلى عملاء من أهل البلد - جواسيس - فى المناطق الحيوية من العالم. ويقول كما أن الولايات المتحدة ليس لديها الصبر المطلوب لتطوير مثل هذه المصادر.

وينظر ستيل باهتمام إلى التهديديات الجديدة الموجودة فى العالم اليوم، وهو مقتنع أن الولايات المتحدة فقيرة التسليح بشكل ميئوس منه بالنسبة لواقع يقوم فيه المقاتلون الأيديولوجيون والدينيون والثقافيون بالتجول فى

الأرض، ويمكن لمخبولى الحاسب الظهور فى دول مثل كولومبيا أو إيران يضعون مهاراتهم فى خدمة المجرمين والمتطرفين.

وهكذا لا يريد ستيل أن يلغى مخابرات الولايات المتحدة، كما لا يريد أن ينكمش الديناصور المنتفخ إلى مينى - ديناصور. وما ينادى به بدلا من ذلك هو إعادة بناء حقيقية بحيث ما ينتج عن ذلك يكون صغيرا أو أصغر ولكنه لا يبدو كديناصور بالمرة. ويقول إن جزءًا ثانيا سيتم خصخصته. على سبيل المثال فرع إدارة الاستماع الأمريكية للإذاعات الخارجية التى تتصنت على مئات المحطات الأجنبية - راديو وتليفزيون - وتسجلها لصالح محللين سياسيين ودبلوماسيين وعسكريين. ويقول آسفا: (إن أعمالا مثل هذه يجب أن يقوم بها قطاع خاص). إنك لا تحتاج بالضرورة لجواسيس حكوميين للاستماع إلى الراديو أو مشاهدة التليفزيون).

وجزء ثالث موجود فى عمليات المخابرات - التحليل - سيصبح غير مركزى. وبدلا من تجمعات من المحللين الذى يعملون فى وكالة مركزية قد يستقيلون من العمل داخل وزارات (إدارات) حكومية مثل التجارة والخزانة والخارجية والزراعة، حقا قد يكون ستيل هو أكثر الأعداء قوة للسرية فى واشنطن ولكنه يؤكد قائلا: (إذا كانت هناك مجموعة إرهابية ولديها سموم بيولوجية (BIOTOXIN) يمكن أن تحدث كارثة وكان فى مقدورك أن تزرع عميلا فى المجموعة فمما لا شك فيه أنك تحتاج إلى المحافظة على سرية شخصيته. وبالطبع بعض الأسرار ضرورية ولكن التكلفة الخفية للسرية ضخمة إلى حد كبير لدرجة أنها تفوق الفوائد بدرجة كبيرة) على سبيل المثال الجيوش تحب أن تحتفظ بعيوب السرية حتى لا يمكن للعدو أن يركز على نقاط ضعفها.

أحد الأشياء التى قامت بها مشاة الأسطول بينما كان ستيل من كبار المدنيين فى مخابراتها كان إعطاء محطات تشغيل SPARC لمحلليها. وقامت الحاسبات بإمدادهم بمواد ذات أعلى درجة سرية، ولكن مشاة الأسطول التى قامت أيضا ببناء حجرة زجاجية الجدران صغيرة منعزلة قريبة ووضعت فيه PC حاسبا شخصيا عاديا. وباستخدام الماكينات الموجودة يمكن للمحلل أن يتصل بالشبكة (INTERNET) للوصول إلى آلاف قواعد البيانات حول العالم - كلها تمتلئ بالمعلومات العلنية سهلة الحصول عليها واكتشف المحللون باستغراب أن أكثر ما يحتاجون معرفته لا يمكن الحصول عليه من المواد السرية. بسبب ضروريات السرية فإن محطات التشغيل الخاصة بهم غير متصلة بالشبكات العامة أو المفتوحة وكنتيجة تحولوا إلى استخدام الحاسب الشخصى الصغير البسيط والمرتبط بالعالم الخارجى وتبين لهم أن أكثر ما يحتاجونه يمكن الحصول عليه ببساطة فى المواد المفتوحة.

وأصبح ستيل مقتنعا لدرجة كبيرة بقيمة المخابرات من مصدر معلومات مفتوح وبهذا تكلم مع البحرية للسماح له، فى أوقات فراغه، وعلى نفقته الخاصة، أن ينظم ما أصبح ندوة المصادر المفتوحة OPEN SOURCE SYMPOSIUM مؤتمر تم عقده فى فرجينيا فى نوفمبر ١٩٩٢ والدور الساخر للحروف الأولى لمكتب الخدمات الاستراتيجية (السابق لوكالة المخابرات المركزية) وما كان ليضيع بين مستمعيه والمتحدثين فيه الذين شملوا رئيس أركان وكالة المخابرات العسكرية والمستشار العلمى السابق للرئيس ونائب المخابرات المركزية، وخليط مدهش من الناس من صناعة المعلومات، إلى جانب أعضاء أو مراقبين للحافة البعيدة لمجتمع خاطفى HACKER الحاسب، وكان حاضرا أيضا جون بيرى أرلو الشاعر الغنائى

المقر بالجميل، وهوارد راينجولد مؤلف (الحقيقة الفعلية VIRTUAL REALITY) والمجتمع الواقعي VIRTUAL COMMUNITY

إنه غير مستحب أن أى فرد أقل إيمانا بفكرة المصادر المفتوحة، وتهور أقل، وأقل ارتباطا بتعهد عسكرى أو مخابراتى، يمكنه أن ينجح فى مثل هذا الحدث. ولكن ستيل كان مدفوعا برؤيا تصل إلى ما وراء العاجل.

لقد نصح بذلك فى أول افتتاح لندوة الموارد المفتوحة فقال: (تصور شبكة ممتدة من المحللين المدنيين ومحللى مخابرات متنافسين فى قطاع خاص ومحللى مخابرات حكوميين - كل له الاتصال بالآخر وتبادل ملفات سرية، وقدرة على سرعة عمل نشرة عن الموضوعات الرئيسية ذات الاهتمام المشترك، وبسرعة الخروج بآراء ووجهات نظر وبيانات كثيرة كلها ذات قيمة صالحة للنشر مباشرة دون قيود. إنه يريد مخابرات تجذب كل المعرفة الموزعة المكنة فى المجتمع.

ولكن حتى لا يمسك رؤيته العريضة فإن ستيل يريد أكثر من ذلك فهو يقترح (ربط المخابرات الوطنية بالتنافس الوطنى جاعلا المخابرات قمة البنية الأساسية للمعرفة. (وهو لا يعتقد فقط أن المخابرات يجب أن تجذب مصادر عامة. ولكن يجب عليها أيضا، وغالبا، أن تكون متيسرة للناس. إنه يتحدث عن استخدام المخابرات فى توفير معلومات ذات قيمة من المدرسة إلى البيت الأبيض).

إن ستيل يرى فى المخابرات جزءا من كمية متصلة أو (مسلسلة) (CONTINUM) أو بناءًا قوميا أكبر يجب أن يشتمل أيضا على عملياتنا التعليمية الرسمية، وقيمنا الثقافية غير الرسمية، وهيكلنا البنائى لتكنولوجيا المعلومات، وشبكاتنا غير الرسمية الاجتماعية والحرفية لتبادل المعلومات، ونظام الحكم السياسى لنا.

الغزل

SPIN

إن الناس الذين يفكرون بشدة حول الحرب فى المستقبل يعلمون أن أهم الميادين فى قتال الغد ستكون وسائل الإعلام.

وبالذات لا يمكن للولايات المتحدة أن تطور استراتيجية شاملة للمعرفة ما لم ترتب منزل مخابراتها وهى تواجه صعوبة أعظم بالنسبة لوسائل الإعلام. إن الدستور الأمريكى، تماما كثقافتها وسياستها يضع حدودا على مراقبتها، والدعاية كلمة قذرة بالنسبة لكل الأمريكيين.

بعد حرب الخليج نشب جدل مخيف بين الإعلام الأمريكى والبنتاجون حول محاولة الأخير إدارة الأخبار وجهوده المتعمدة لإبعاد المراسلين عن أرض المعركة.

الميدالية الألمانية THE GERMAN MEADAL

كتب المؤرخ فيليب تايلور يقول: «لقد بلغت الدعاية سن الرشد فى عصر الإغريق القدماء». ولكنها بلغت سن الرشد ثانية بعد أن أدت الثورة الصناعية إلى مولد الإعلام المكثف. وعليه فصورة حرب الموجة الثانية كانت ترافقها أنباء جانب واحد، وغدا مع تطور صورة حرب الموجة الثالثة ستصبح الدعاية ووسائل الإعلام التى تساعد فى صنعها قادرة على صنع أو فك التحالف.

لكى نعرف كيف يطبق الغزل (SPIN) نحتاج إلى التعرف على المستويات المختلفة التى يتم فيها أداء لعبة الدعاية العسكرية. وعلى

المستوى الاستراتيجى، على سبيل المثال، يمكن للدعاية البارعة المساعدة فعلا فى خلق أو فك التحالفات. خلال الحرب العالمية الأولى حاولت كل من ألمانيا وبريطانيا الحصول على دعم الأمريكيين.

وكان مقاتلو المعرفة البريطانيون أكثر تطورا بكثير من الألمان وانتهزوا كل حدث رمزى لتصوير الألمان على أنهم ضد الأمريكيين. عندما قامت غواصة (U – BOAT) ألمانية بإطلاق طوربيداتها على السفينة الأمريكية لويزيانا والتى نعرف الآن أنها كانت تحمل ذخائر إلى البريطانيين، وثار الرأى العام الأمريكى. ولكن الثورة الحقيقة تم ترتيبها بواسطة البريطانيين بعد ذلك بعام.

باكتشاف أن فنانا ألمانيا قد قام بصنع ميدالية برونزية للاحتفال بالسفينة الغارقة قام البريطانيون بصك نسخ طبق الأصل من الميدالية ووضعها فى صناديق وأرسل منها مئات الألوف إلى الأمريكيين مع نشرات مضادة للألمان. وفى النهاية بطبيعة الحال دخلت أمريكا الحرب إلى جانب البريطانيين وأدانت الألمان.. بنى القرار على أساس المصالح المالية والمصالح الأخرى الأمريكية فى ذلك الوقت، ولا يمكن إيعازه للدعاية البريطانية وحدها. ولكن الدعاية الاستراتيجية ساعدت فى أن تصيغ القرار وتجعله مقبولا لدى الشعب الأمريكى.

فى حرب الخليج كان التحرك المؤثر للرئيس بوش لدعم الأمم المتحدة مصحوبا بدعاية تعبر عن أن ما تفعله الولايات المتحدة لا يمثل اهتماماتها الذاتية وإنما تفعل ما تسعى إليه الأمم المتحدة. والهدف الرئيسى من هذا التحالف كان عزل العراق دبلوماسيا: كان نظام صدام حسين علمانيا تقدميا وليس إسلاميا، ولكن وزارة إعلامه استمرت فى استخدام ورقة الإسلام مصورة العراق على أنه المدافع عن العقيدة وأن المملكة السعودية التى تدعمها الولايات المتحدة خائنة للعقيدة.

وفى النهاية على المستوى التكتيكى أسقط أخصائيو الحرب النفسية للولايات المتحدة ٢٩ مليون منشور دعاية بها ٣٣ رسالة مختلفة على القوات العراقية فى الكويت بها تعليمات عن كيفية الاستسلام والمدين بالمعاملة الإنسانية للأسرى وتشجيعهم على هجر معداتهم وتحذيرهم من هجمات قادمة.

إن دكاترة الغزل الأذكياء يعرفون تماما ما إذا كانت أهدافهم استراتيجية أو تعبوية أو تكتيكية والعمل طبقا لذلك.

الأدوات الست التى تلوى العقل SIX WRENCHES THAT TWIST THE MIND

إن من أكثر الأمور شيوعا الاتهام بالوحشية. عندما اعترفت فتاة كويتية عمرها خمسة عشر عاما أمام الكونجرس خلال حرب الخليج للتأثير عليه بأن القوات العراقية كانت تقتل أطفالا صغارا وتسرق حضانات الأطفال لتأخذها معها إلى العراق فلقد ضربت على الوتر الحساس للقلوب (للمشاعر). ولم يقل أحد للعالم: إنها كانت ابنة السفير الكويتى فى واشنطن وعضو من العائلة المالكة، أو إن ظهورها كان عملا مسرحيا بواسطة شركة هيل ونولتون للعلاقات العامة نيابة عن الكويتيين.

يجب ألا تكون الدعاية كاذبة. إن الأخبار المنتشرة عن قسوة العراقيين فى الكويت تأكدت عندما وصلت تقارير بعد أن طرد العراقيون خارج الكويت. ولكن قصص القسوة، صادقة كانت أم كاذبة، كانت سلعة فى حرب الدعاية.

أداة ثانية شائعة هى التضخيم الزائد للخسارة فى معركة أو حرب. لقد قيل للجنود والمدنيين: إن كل عزيز يملكونه فى خطر. لقد صور الرئيس

بوش صدام الخليج بأنه حرب من أجل نظام دولى جديد وأحسن، ولم يكن ببساطة استقلال الكويت هو المعرض للخطر، وحماية إمدادات العالم بالبترول أو استبعاد تهديد نووى محتمل من قبل صدام، ولكن ببساطة كان مستقبل المدنية كلها. أما بالنسبة لصدام فإن الحرب لم تكف بسبب فشله فى سداد مليارات الدولارات التى اقترضها من الكويت خلال الحرب الإيرانية العراقية السابقة وإنما كانت (كما زعم هو) من أجل مستقبل كل الأمة العربية.

الأداة الثالثة للعقل فى حقيبة دكاترة الغزل العسكرية هو تشبيه الإنسان بالشيطان وبالنسبة لصدام (بالنسبة لأعدائه - جيرانه - فى إيران) كانت أمريكا «الشيطان العظيم»، وكان بوش «الشيطان فى البيت الأبيض». وفى المقابل بالنسبة لبوش كان صدام بمثابة هتلر. وتحدث راديو بغداد عن الطيارين الأمريكيين ووصفهم بأنهم فئران ووحوش أكلة اللحوم. لقد وصف عقيد أمريكى هجمة جوية على أنها: «كما لو أضأت النور فى مطبخ ليلا وبدأت الصراصير تهرول هناك ونحن نقتلها».

الأداة الرابعة هى الاستقطاب. «كل من ليس معنا فهو ضدنا».

والخامسة هى ادعاء العقاب الربانى. فإذا كان صدام قد البس عدوانه عباءة الإسلام فإن الرئيس بوش أيضا طلب العون من الله. وكما أشارت عالمة اجتماع مغربية هى فاطيما ميرنسى إلى جملة تعويذية: «حفظ الله أمريكا» التى جرت خلال الدعاية الأمريكية - ولها أثر شاذ هو الأثر الجانبى غير المتوقع عندما تصل إلى الأذان فى الأسواق والشوارع بالعالم الإسلامى. العالم الذى تعود النظر إلى أمريكا على أنها رسول المادية والإلحاد وتعود الناس فى شوارع شمال أفريقيا والشرق الأوسط أن يقولوا

(AGOG) (أى متشوق) عندما كان بوش يتوسل إلى الله. هل تؤمن أمريكا حقيقة بالله؟ إن الارتباك (التشوش) يكون أكثر عندما كان يتم الربط بين الله والخطابة عن الديموقراطية. هل الديموقراطية دين؟

وفى النهاية ربما أكثر أدوات العقل قوة، وأقواها جميعا، هو «ما بعد الدعاية» أو «META PROPAGANDA:» وهى الدعاية التى تفقد الثقة (تشوه السمعة) فى دعاية الطرف الآخر. إن المتحدثين التابعين للتحالف فى الخليج أشاروا مرارا وبدقة إلى أن صدام حسين كانت له سيطرة كاملة (شاملة) على الصحافة العراقية ولهذا فإن الشعب فى العراق حرم من الحقيقة. وإن الموجات اللاسلكية العراقية كانت مليئة بالأكاذيب وما بعد الدعاية فعالة بصورة خاصة لأنه بدلا من تحدى صدق قصة واحدة فإنها تثير تساؤلا بالنسبة لكل ما يذيعه العدو. إن هدفها هو القيام بالبيع بالجملة بدلا من البيع بالتجزئة أو عدم الثقة.

النازية الجديدة والمؤثرات الخاصة

NEO–NAZIS AND SPECIAL EFFECTS

فى البداية تقوم اقتصاديات الموجة الثالثة بتطوير تكاثر واسع للقنوات من خلالها يمكن أن تتدفق المعلومات المضللة. وتقوم التليفونات التى تعمل بالطاقة الشمسية، والحاسبات الشخصية PC^S ، وآلات النسخ، والفاكس، وكاميرات الفيديو، والشبكات الرقمية بالسماح بتبادل حجم واسع من الصوت والبيانات ومواد الجرافيك من خلال قنوات مركبة متزايدة وغير مركزية غالبا ما لا يسهل وصول المستشعرات الحكومية أو العسكرية إليها.

وآلاف من «نشرات اللوحات» المؤسسة حاسبيا تقفز بسرعة تربط ملايين الأشخاص حول العالم فى محادثة مستمرة حول كل شىء ابتداء من

الجنس إلى اتجاهات أسواق المال. والتنجيم والبيئة والعمليات شبه عسكرية النازية الجديدة والإرهاب. إن الشبكات المتداخلة والتى تتصل ببعضها البعض التى تعتمد عليها هذه النظم يستحيل تقريبا مصادرتها مع وجود الإعلام الجديد المنتشر فإن الدعاية المركزية الفظة التى تضخ من أعلى لأسفل ربما تتزايد مواجهتها من أسفل.

هذا الإعلام الجديد يميل إلى تشتيت القوة. فشريط فيديو واحد تم تسجيله بواسطة هاو لبوليس لوس أنجلوس وهو يضرب رجلا أسود أدى إلى اضطرابات نتج عنها خسائر بشرية ودمار يكاد يتساوى مع حرب صغيرة. إن السيطرة المركزية على الإعلام الجديد تضعف. وستزداد ضعفا بواسطة التفاعل الذى سيسمح للمستخدمين بالرد على السلطات المركزية. إن برامج التحدث على الراديو والتسوق عن طريق التليفزيون هى تصور باهت لمستقبل هذه العملية.

إن جهاز التليفزيون من المحتمل أنه سيستبدل بوحدة (محتمل لاسلكية) تحتوى على حاسب وجهاز مسح (SCANNER) وفاكس وتليفون أداة مكتبية DESKTOP TOOL لخلق رسائل متعددة الوسائل الإعلامية كلها معا فى شبكة واحدة تربطها جميعا. وبدلا من لوحة المفاتيح فإن هذا التليكومبيوتر يحتمل أن يتم تشغيله بالصوت بلغة طبيعية.

كل هذا يشير إلى عالم يمتلك فيه ملايين الأفراد الأوامر والقدرة على خلق مؤثرات خاصة هوليودية، ومحاكيات على أسس حقيقة - واقعية وغير ذلك من الرسائل - سوف ينقسم العالم، كما كان، إلى مجتمعات ما قبل الإلكترونيات فقيرة للغاية لدرجة ندرة جهاز التليفزيون، ومجتمعات فيها تليفزيون الإرسال التقليدى أمر عادى.

عندما ننظر إلى الوراء إلى حرب الخليج التى استخدمت فيها عناصر حرب الموجة الثالثة بحسم فإننا نجد (بشيء من المنطق) أن الحرب لم تكن هى كل ما غطاه الإعلام. فالإعلام ذاته أصبح نجم المشهد. وكما لاحظ اللواء المتقاعد بيرى سميث (وهو شخصية من شخصيات شبكة CNN): «على مدى ستة أسابيع التى استغرقتها الحرب – شاهد كثير من الناس عددا أكبر من ساعات الإرسال فى اليوم عن أى فترة مضت فى التاريخ».

ويبدو هذا مؤثرا ولكن هناك تغيرات أخرى أكثر أثرا. لقد ركز الإعلام على نظام متفاعل ذاتى المرجع تتدفق فيه الأفكار والمعلومات والصورة بالمشاركة من وسيط إلى آخر. إن لقطات التليفزيون عن أخبار الحرب، على سبيل المثال، تقدم قصصا لمحررى الصحف، وأفلاما عن العسكرية مثل «شلة من الرجال الأفاضل A FEW GOOD MEN» وتولد تعليقات مطبوعة، ولقاءات إذاعية وتليفزيونية، وصورا SITCOMS تليفزيونية. كل ذلك يعتمد بصورة متزايدة على الحاسبات وآلات الفاكس، والأقمار الصناعية، وشبكات الاتصالات عن بعد (TELECOM) وتندمج معا لتشكل نظاما إعلاميا متكاملا أو منصهرا فى هذا النظام الوليد، التليفزيون (الآن والآن فقط) يحدد أجندة الأخبار خاصة فى تغطية الحرب. بينما بعض مخرجى الأخبار فى التليفزيون الأمريكى قد لا يزالون يراجعون العناوين فى النيويورك تايمز أو الواشنطن بوست قبل تحديد أى القصص السياسية أو الدبلوماسية التى تستحق النشر.

لقد نجح التليفزيون فى فرض نفسه على باقى وسائل الإعلام، يقول رامونيت «ليس فقط لأنه يقدم المشهد ولكن أيضا لأنه أصبح أسرع من غيره».

بعض الأشياء واضحة، إن معلومات دقة تحديد الأهداف وهى هامة بنفس درجة الأسلحة عندما يكون الهدف هو المشاهدون فى مجتمعات الموجة الثالثة فإن معالجى الإعلام غدا، مثل وكالات إعلان الغد، سوف تضطر إلى أن تزيد من كثافة الرسالة، وتكوين أنماط مختلفة لكل قطاع مشاهدين – واحد للأفريقيين الأمريكيين، وواحد آخر للآسيويين، وواحد للأطباء، وواحد آخر للأمهات الأعزاب.. الخ حسب ما يمكن أن تستوعبه الحالات.

ومع هذا مثل هذا التقسيم هو نصف خطوة نحو الهدف الأخير: التخصيص INDIVIDUALIZATION. وهنا كل رسالة ستتم معالجتها لتنتج تأثيرا أكبر على شخص واحد بدلا من مجموعة. إن طريقة الاقتراب (DEAR MARY) الخاص بنسخ البريد المباشر اليوم سيتم تطويرها وتوسيعها باستخدام قواعد بيانات مركبة تجارية وحكومية لاستخلاص لمحة عن حياة الفرد.

إن الدعاية لصالح أو ضد الحرب، التى يتم بثها من أناس فى الجانب الآخر من الأرض، أحيانا تخفى المصدر الحقيقى، سيتم تسريبها ببراعة إلى الأخبار تماما كما يتم تسريب البرامج الترفيهية إليها اليوم. كما أن البرامج الترفيهية العادية أيضا قد يتم تغييرها لتشمل رسائل دعائية خطية صممت لكل فرد أو أسرة.

إيصال التقارير فى الوقت الحقيقى
REPORTING IN REAL TIME

فى عام ١٩١٥ قتل ألفان من الجنود الأمريكيين والبريطانيين بعضهم البعض فى معركة نيواورليانز بسبب عدم وصول أخبار اتفاقية السلام إلى

نيواورليانز والتى وقعت قبل ذلك بأسبوعين فى الوقت المناسب. فالأخبار تحركت بخطوات باردة.

ومع التصنيع زاد تسارعها ولكنها لازالت تسير بسرعة ما قبل الإلكترونيات. إن النمو الزائد لبزوغ الإعلام المكثف كان مهنة جديدة - «مراسل حربى». كثير من المراسلين المقاتلين - وينستون تشرشل، الذى ركب مع القوات البريطانية فى حرب البوير ثم أصبح بعد ذلك رئيس وزراء بريطانيا العظيم فى وقت الحرب.. وريتشارد هاردينج ديفيز فى الحرب الأسبانية الأمريكية.. ايرنست هيمنجواى أرخ حياة الموالين فى الحرب الأهلية الأسبانية.. ايرنى بايل فى الحرب العالمية الثانية - كلهم على التوالى أصبحوا أساطير فى أوقاتهم (عصورهم). ولكن فى الوقت الذى طبعت فيه رسائلهم، كانت المعارك التى وصفوها قد انتهت. وتقاريرهم من أرض المعركة لم تتمكن من التأثير على نتائج المعركة القتالية.

علم الرؤساء ورؤساء الوزارات ما يجرى من التليفزيون قبل أن يرسل الدبلوماسيون تقاريرهم إليهم مباشرة من شبكة CNN، وهم على ثقة من أن خصومهم والمناظرين لهم سيشاهدون ذلك أيضا - وبدورهم سيردون على الكاميرا.

خلال هجوم صواريخ سكودا العراقية على تل أبيب أحست العسكرية الإسرائيلية أن شبكة CNN يتم مراقبتها بحرص فى بغداد. وقلقوا من أن صور الـ CNN التى توضح أين سقطت الصواريخ قد تساعد العراقيين فى تدقيق توجيه صواريخهم على الأهداف.

يقول الكولونيل (عقيد) آلان كامبن إن: «الكتابة عن المعلومات والحقيقة والحرب - وتكنولوجيا الأقمار الصناعية تثير مناقشة مسألة الرقابة». إن الأقمار الصناعية التجارية ستجعل من المستحيل على المتقاتلين الاختفاء عن وسائل الإعلام.

ويجادل كامبن بـأن المواطنين فى الديموقراطية قد يكون لهم الحق والحاجة فى أن يعرفوا ماذا يدور ولكنه يتساءل هل هم يحتاجون ليعرفوا فى الوقت الحقيقى؟

الوقت الحقيقى غير الحقيقى UNREAL REAL TIME

إن التغير الجديد فى وسائل الإعلام ليس مجرد حقيقة ولكن الأكثر أهمية إدراكنا الحسى بها – وعليه فهو المجال الذى تتنافس فيه الدعاية فى الحرب وفى السلم. قبل الثورة الصناعية كان السكان الفلاحون أميين وإقليميين (ريفيين) يعتمدون على قصص المسافرين، ومبادئ الكنيسة أو قوة وأسطورة تصورهم للأحداث البعيدة فى الوقت أو المسافة. إن وسائل الإعلام المكثفة للموجة الثانية حولت الأماكن البعيدة والوقت إلى بؤرة أقرب وخلقت ما يعبر عنه كيفا: «كيف أنت هناك» لم يقصد به أنه أخبار. لقد تم تصور العالم على أنه هادف وواقع.

وبعكس ذلك تبدأ الموجة الثالثة بخلق إحساس غير حقيقى لأحداث حقيقية. إن النقاد الأوائل للتليفزيون ندبوا غمر المتفرج فى عالم غير مباشر من أوبرا متملقة، وضحك معلب، ومشاعر كاذبة. هذه الاهتمامات ستبدو تافهة غدا لأن نظام الإعلام الجديد يقوم بخلق عالم خيالى تماما تتجاوب معه حكومات وجيوش وكل الشعوب (السكان) كما لو كان حقيقيا. وبالتالى فإن أعمالهم آنذاك هى من فعل الإعلام وتتصل مع نسيج خيالى إلكترونى يوجه تصرفاتنا.

هذا التخيل العلمى النامى للحقيقة تم وجوده ليس فقط حيث ينتمى فى الكوميديا والدراما ولكن فى البرمجة الإخبارية كذلك حيث قد تنتج أكثر النتائج قتلا. هذا الخطر تمت مناقشته فى كل أنحاء العالم.

هذا الكيف غير الحقيقى تم تكبيره خلال حرب الخليج بما يمكن تسميته تلفزة التليفزيون - تليفزيون أس اثنين - كما حدث. شاهد الفرد مرارا وتكرارا صور فيديو لشاشات فيديو تبين أهدافا وإصابات. كان التشبيه الإعلامى هاما لدرجة اعتبرها العسكريون أن الطيارين فى القتال الفعلى يعيدون ضبط شاشات العرض بكبائنهم لتجعلهم يظهرون بصورة أفضل على شاشات محطة CNN. وعليه فإن الصواريخ هارم HARM تضبط بدقة على الدفاعات الجوية للعدو وتطلق عليه رصاصات صغيرة. ولكن الدمار لا يرغبون فى إظهاره بصورة جيدة على التليفزيون. إن ما تريده الكاميرات هو ألسنة لهب قنبلة كبيرة فوق الممرات.

إن التكنولوجيات الجديدة للمحاكاة تجعل من الممكن مسرحة أحداث دعائية مفبركة (كاذبة) يتفاعل معها الأفراد وأحداث حية بكثافة حقيقية. إن وسائل الإعلام الجديدة ستجعل من الممكن تصوير معركة كاملة لم تحدث أو مؤتمر قمة يظهر (كذبا) قائد الدولة الأخرى وهو يرفض مفاوضات سلام. إن الجانب الأذكى بالنسبة لكل ذلك هو جمهور تعود على استخدام المحاكاة لأغراض كثيرة أخرى، فى المنزل وفى العمل وفى الألعاب، وقد يتعلم أن مشاهدتها أو حتى الإحساس بها لا يعنى الإيمان بها.

وفى النهاية، من الضرورى منع سوء معاملة أنفسنا بفكرة تقليدية حالية.

إن سيادة CNN الحالية على مستوى سوق أخبار التليفزيون هى سيادة مؤقتة لأن الشبكات المنافسة تتشكل فعلا. وفى غضون حقبة واحدة

أو حقبتين يمكننا أن نتوقع ازدياد أعداد القنوات العالمية بصورة كبيرة متوازية مع التنوع فى وسائل الإعلام الذى بدأ يحدث فعلا داخل دول الموجة الثالثة. إن الأطباق الصغيرة تستقبل إرسال الأقمار الصناعية فى المنازل حول العالم وستتمكن يوما ما من التقاط أخبار المساء من أى مكان وفى كل مكان - نيجيريا أو هولندا، فيجى أو فنلندا. وستؤدى الترجمة الآلية إلى أن تتمكن الأسرة الألمانية من استقبال برنامج من تركيا مترجما آليا إلى الألمانية. وقد يتعرض الأرثوذوكس الكاثوليك فى أوكرانيا لقصف بالرسائل من قمر صناعى للفاتيكان يدعوهم بترك كنيستهم ليصبحوا كاثوليك رومانيين. وقد يقوم آية الله فى قم بالوعظ فى المنازل من كردستان إلى الكنغو أو لنفس الشىء فى كاليفورنيا.

وبدلا من حفنة من القنوات المسيطر عليها مركزيا يشاهدها الجميع فإن عددا شاسعا من البشر يمكنهم الوصول إلى عدد مذهل مختلف من الرسائل القادمة عبر الحدود، قد لا يرغب سادتهم السياسيون والعسكريون أن يسمعوها أو يشاهدوها. وقبل مضى وقت غير طويل يمكن للإنسان أن يتوقع أن دكاترة الغزل (SPIN) ومقاتلى المعرفة لكثير من الدول، ناهيك عن الإرهابيين والمتطرفين الدينيين، سيبدأون فى التفكير بأسلوب خلاق كيف يمكنهم استغلال وسائل الإعلام الجديدة.

إن السياسات التى تتعامل مع المعالجة البارعة للإعلام - أو للتعبير عن الدفاع والحرية - ستشكل عنصرا حيويا (هاما). فى تحديد أو أعمال استراتيجية معلومات لا يوجد للعسكرية الأمريكية يد مطلقة فى ذلك. فالتعديل الأول للدستور الذى يضمن حرية الصحافة يعنى أن دكاترة الغزل للولايات المتحدة عليهم أن يكونوا أكثر حذقا وتطورا مِنْ تلك الدول التى تسيطر فيها الشمولية على الإعلام.

ومع ذلك فعلى الرغم من انفعالات البنتاجون وتوتراته تجاه الإعلام فإن معظم مقاتلى المعرفة العسكرية الذين تحدثنا معهم يتفقون مع الإعلام فى أساسية واحدة. أنهم يؤمنون أن السيطرة الشمولية (الدكتاتورية) على الإعلام هى فى حد ذاتها استراتيجية خاسرة وبوجه عام التقليد الأمريكى لمبدأ المعلومات المفتوحة نسبيا قد أتى ثمارة عسكريا.

وإلى هذا الحد فى هذه الصفحات تتبعنا مولد صورة جديدة لحرب تعكس طريقة جديدة لخلق الثروة. ورأينا أصلها فى أول تشكيلات عقيدة المعركة البرية الجوية. ورأينا أن عقيدة تطبق فى شكل محدود ومعدل فى حرب الخليج. وفحصنا تكنولوجيات جديدة مثل الروبوتات وأسلحة اللاقتل يفضل مشاركتها فى شكل حرب جديدة. وفى النهاية أمعنا النظر مقدما فى «استراتيجيات المعرفة» التى سيحتاجها قادة المستقبل لتجنب الهزيمة أو الحصول على النصر فى حروب الغد. وتتبعنا، (فى كلمات أخرى) تطورا تاريخيا يقود إلى سيطرة صورة حرب أوائل القرن الواحد والعشرين وما لم نستكشفه بعد الأخطار التى تواجهنا نتيجة ظهور صورة حرب الموجة الثالثة.